قصة قصيرة

حيوات مؤجلة

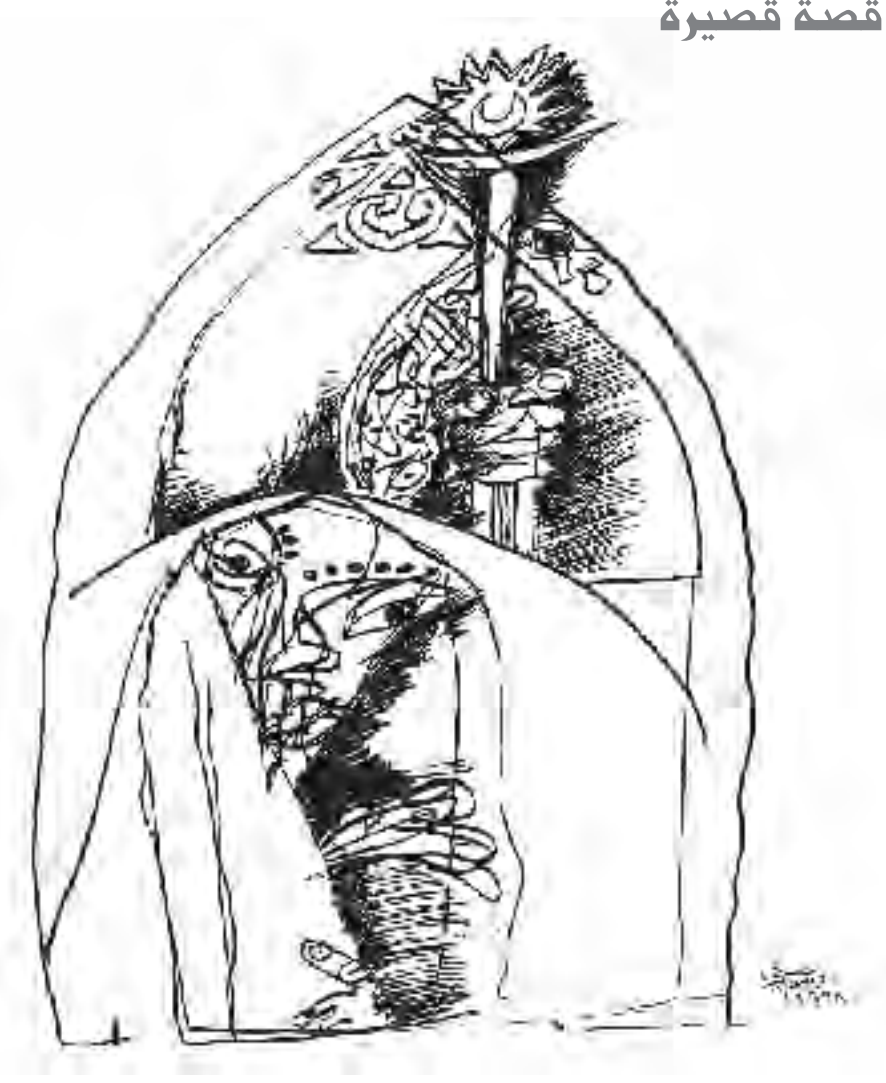

سهيل ياسين

معافى كالآخرين، أخطو بساقين اثنتين، متهادياً دونما عكاز أو عصا معقوفة عند كفي، هكذا أبدو لمن يصادفني وأنا أحث خطاي الوئيدة الموقرة، إلا إن الحقيقة هي ليست كذلك، فإني غالباً ما أسعى إلى التمويه والتضليل، في دأب وحركة لا تكاد تكون حسبما اعتقد، لافتة للانتباه وللمتلصصين، من ذوي الفضول، تجاه ساقي المخفية بعناية فائقة، تحت بنطالي الفضفاض أتحاشى المرور بالكثيرين، أمثال صباغي الاحذية. لأنهم من الوحيدين الذين ينظرون إلى الاسفل، أسفل يميني الذي أخشى الكشف عنه، إنها ساقي الحديدية أول رجل صناعية، أجنبية، وطئت أرض البلدة في أرجح الظن، لا يمكنني الاستغناء والتخلي عنها فهي وسادتي في الليل احياناً كما في النهار، حينما يطرحني جانباً فرط المسافات، متعباً الوذ في احيزة، منزوية يملؤها السكون المشوش دوماً.

تحسباً للطوارئ وتحوطاً للأمان، استعرت عكاز جاري الخشبي، الليلة البارحة بعد ان سمعت صريراً خافتاً في أعلى ساقي، وها أنذا أغذ السير على ثلاث غير مبال بافتضاح أمري أو شاعر بالضيق والحرج من ساقي الجديدة الثالثة، نهار آخر يكاد ينتهي في البحث عن اشياء تتعلق باصلاح ساقي المعدنية القديمة المقلقة، نهار يتضاءل بعد ايام كاملة، مضاعة في اسواق الخردة، أفتش عما ينقصها وحاجات قد تغدو بين عشية وضحاها صعبة المنال، أو ما يمكن أن تفتقدها لاحقاً، أتقفى اشياء قد تبدو بالغة التفاهة لغيري، معدات بسيطة، فواصل وحلقات دقيقة، نوابض ومشدات خاصة. الاسواق تعج بباعة ومشترين بتبادل بعضهم حاجات شبه محطمة، أذرع واكف بلاستيكية كراسي ذات عجلات، فروات رأس مستعارة، أطقمة اسنان مكشرة، فرادى احذية ملمعة، فجأة انطلقت اصوات غريبة، تعالى صداها طاغياً، اعقبها صياح ونواح نسوة، هرع كثيرون، اقحاح من اهالي البلدة زوار وغرباء عابرين.. في ارتباك كائن نطاط اضطربت في اعقابهم خطاي بفعل لواحقي المثقلة، بالكاد وبلغت الباحة الضيقة، المكتظة، توقفت منصتاً عند حافة الزحام، هدأ العويل والصياح ليسري انيناً خافتاً ومفجعاً بين النساء والرجال، بكى الجميع، منسلين واحداً إثر آخر من عنق الباحة، همست في أذنى أمرأة:

"ما أتعسها.. مسكينة.. ولقد وضعت طفلامشوهاً..!!"

كدت أقول بعلانية: "ليس غريباً هذا في بلدة لم تعد تنجب سوى المعاقين أمثالي.."

أصوات مدوية مسموعة في الجانب الآخر، اعيرة نارية، خفيفة ثقيلة هل بدأت فعلاً.. ماذا لو حانت.. كل شيء سيتداعى بعنف حتماً، لن انجو منها بساق واحدة هذه المرة.. غالباً ما كنت أول الملتحقين بجمهرة المنطلقين.. قريباً أو بعيداً، منقاداً بدوافع ورغبات حمق أو فضول طفولي إلا أن الأمر إختلف كثيراً، خاصة بعد الذي حدث.. فلمجرد أدنى نأمة، لا أدرك كيف انقل خطاي، أدور على نفسي، مدفوعاً بتوجسات واتجاهات شتى، لا أعرف ماذا أصنع، كما هو الآن، أنا الذي ينبغي ألا أخشى شيئاً، فليس هناك أسوأ مما حدث، لا داعي للخوف والقلق ما دمت لا أمتلك ما افتقده سوى ايام خاويات، ملفوفة بانتظارات مملة، مريعة، وكل ما تبقى محض أوهام وخيالات هذا هو رأيي، لن اكتمه على احد وإن لم يجعلني أكف تماماً عما أفعله، بين فترة واخرى ناقلاً كياني المختل بساق من حديد، حاملاً ملفاتي الطبية، دائم التردد والزيارات، بين عيادات الاطباء والمستشفيات، في أمل متعام، بما تبقى ويقين شاحب يتنازعني في كل لحظة، كأي مخلوق موشك على نهايته العاجلة، من دون أدنى شك كالشيوخ المعاقين، المسنين على عجل.. الاصوات القديمة ذاتها تلاحقني، تختلط بالاصوات الثقيلة الدانية، أتداعى منهمكاً بين غيبوتي وصحوي، دوي مدافع واصطخاب طائرات ينمو ويعلو بانين قذائف لانفجارات وشيكة في ذاكرتي، أهدأ بعض الشيء، أراني انهض هناك، أسير دون أرجل، اعدو، أطير بلا أجنحة، تأخذ بيدي أطياف بأردية بيض، عابراً خلاءات موحشة باردة، بدعوتي رجلا، كأنه يعرفني:

(-أهلاً بك وإن جاءوا بك سهواً.. ما زال الوقت مبكراً..)

(-لا أظنني أنا المقصود.. اليس كذلك؟!)

(-على اية حال، قدرك أن تكون هنا وهناك، في آن واحد معاً.)

اصحو على دوي حقيقي عال يتجدد، ارتجاجات هائلة تفزعني. ينبغي أن اثق هذه المرة، ها هي الاصوات تستبق رجعها المتكرر، تمحو السكون، اصوات شديدة تتلاحق، تمتزج اكثر فاكثر في ضجيج الذاكرة، يا الهي لقد عادت حقاً، ليس ثمة مجال للشك أو الفرار، طالما ستكون شاملة، على اية حال ستدركني، ستأخذني من دون صراخ وأنين، اعدو بقوة وخفة لم اعهدها من قبل، عاجلاً أم آجلاً ستنالني بلا رحمة، تلك الحقيقة الوحيدة التي كنت اخشاها فعلاً، ارفع صوتي منادياً، اسقط مغمياً على نفسي، استرد بعض صحوي، ايد حانية توقظني، لغط غامض يحيطني، اكاد اسمع ما يشبه النداءات القريبة البعيدة!

-أفق يا شيخ.. إنهم يطلقون النار ضد من يمشي على اربع.

-انهض يا حاج انهم يبيدون الكلاب السائبة.

بمناسبة الترجمة الجديدة لعدد من أعمال هيرمان هيسه الى الفرنسية

ذئب السهوب يعوي وحيدا

ترجمة جودت جالي

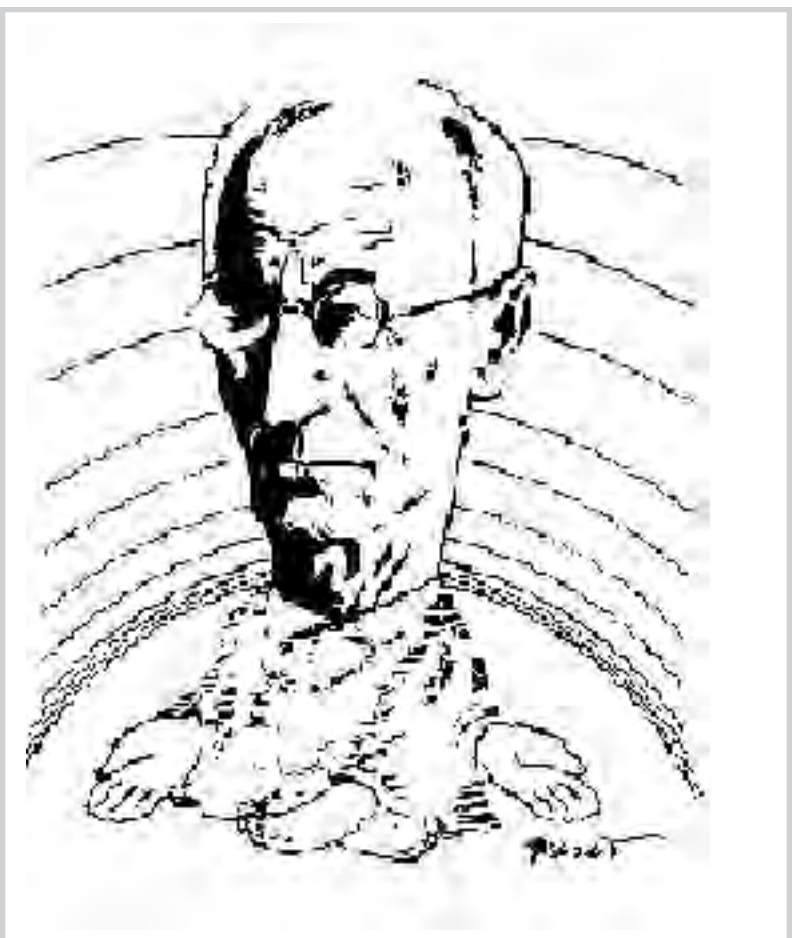

كان عمل هيرمان هيسه هذا بمثابة كتاب صلوات لجيل الهيبيز (جيل الستينيات والسبعينيات رفضوا الأخلاق والتقاليد الغربية السائدة وآمنوا باللاعنف - المترجم) هو و(سدهارتا) وميوله البوذية، اضافة الى (لعبة الكريات الزجاجية) وهي رواية تنبؤية ونقدية لمجتمع غربي مقيد بترفه المذل. لأن الرواية قد أعتبرت كأي مادة للأستهلاك، من نوع صناعة الجاهز الذي يمكن أن يعتق كتنورات وودستوك الطويلة، فهذه الترجمة الجديدة لذئب السهوب هي اليوم مناسبة لإعادة اكتشاف هذا النص ولتحرير المؤلف من التصنيف الذي حبس فيه.

ولد في ألمانيا عام ١٨٧٧ وأصبح سويسريا عام ١٩٢٣ وتوفي في لوغانو عام ١٩٦٢ مؤمن بالسلام ومعارض للنازية نفى نفسه دون أن يتنكر لألمانيا ولا أعفى نفسه من تعاستها وجرائمها .كان شاهدا واضحا ومبدعا صريحا ومحترما وقد كوفيء بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٦ .

أراد والداه أن يصبح كاهنا ولكن قدره وحبه كان الكتابة فهرب من المدرسة الأكليريكية وهو في سن الخامسة عشرة ، وبعد مزاولته لبضعة أعمال صغيرة وكتابته لمحاولات شعرية مقطوعة عن الرومانسية بشكل سيئ أكتسب شهرة في سن السابعة والعشرين بروايته (ببتر كامينزيند). البطل الذي أتخذ الكتاب أسمه عنوانا له شاب جبلي يهجر مناظر طفولته الى المدينة المنتزعة من الطبيعة ويسكنها أناس بأرواح كسيحة وعذابات لايمكن فهمها. هذا الكتاب (المهم جدا بنظري) حسب كلمات فرويد قد وازن في صفحاته بين أزدواجيته الممزقة وأزدواجية جيرترود عام ١٩١٠ ,

جعل منه رفضه الذي لايلين لتفجرات الحقد المتمثلة بالحربين العالميتين سلطة أخلاقية على مثال رومان رولان وأندريه جيد وستيفان تسفايج وقد تبادل معهم رسائل معبرة عن آلام ويأس مثاليين ومراقبين على هامش عالم يتمزق، ويوصفه قارئا لأضمحلال الغرب وفكر شبينغلر بحث عن حكمة أخرى فمد بصره نحو آسيا التي كان يمت اليها بقرابة ما أذ أن أمه ولدت في الهند لأب تبشيري ومستشرق واسع الأطلاع. أن نزعات الزهد في نصوصه على مثال دميان في الرواية التي تحمل أسمه تنبذ مجتمعا ماديا تماما كما فعل هاري هالر بطل ذئب السهوب التي ظهرت عام ١٩٢٧ ,

هذا الشخص الذي في سن النضج و المستغرق في نشاطات أدبية مبهمة يستقر في مدينة ليس لها أسم . هناك يدون في دفاتره الصغيرة كل تناقضاته، بعده عن مجتمع غارق في المادية يصطدم بميله الى الترف البرجوازي في مزيج من ضعف الأرادة والتصميم (في داخلنا ذئب سهوب ضل طريقه، في مدن حيث الناس يعيشون حياة القطيع، لايمكن لأية صورة أن تمثل الأنسان تمثيلا أكثر توفيقا من هذه الصورة، وهو في عزلته القاسية وشخصيته المتوحشة، وقلقه، وحنينه الى وطن ضائع).

هذا المتذوق للجمال والمتقشف والعقيم في الوقت نفسه يقرر تحديد يوم أنتحاره للهرب من الشخصيات التي يشتمل عليها، الشخصيات المتنافرة والمفترسة. عندها قابل عاهرة تسخر من غرور أدعاءاته وتحاول التوفيق بين متضاداته وأن تقوده الى حقائق جسدية وروحية أقل مانوية. تظل قضية الصراعات التي تحصد روح هالر غير محددة. الروائي يختار الإضمار. (ذئب السهوب جعلتني أتعلم القراءة من جديد) هذا ما قاله متحمسا صديقه توماس مان في رسالة الى المؤلف عام ,١٩٢٨

في الحقيقة أن النص يمازج بين نبرات ومستويات شديدة الأختلاف، يوميات هالر، ذكريات الراوي، واقعية في وصف التلميعات البرجوازية الداخلية أو واقعية في هلسنة بصرية ليلية أو تهربية لختام ينفجر مثل لوحة لجورج غروتس (١٨٩٣-١٩٦٩ رسام ومصمم ألماني سخر من الحرب وصور بشاعتها في تصاميمه ورسومه، عاش في الولايات المتحدة مهاجرا -المترجم). أذا كانت تحليقات شعرية حياتية معينة تبدو أنها ذابلة زمنيا، أو مراهقة، فأنها جميعا تقريبا شيء من قبيل حلقات دخان مؤفينة، نوع من اللاواقع، رفض ليس ببعيد عنا. موزارت ينصح هالر (لابد لك أن تدرك جزء الدعابة التي تحتوي الوجود ، جانب دعابته السوداء) في الختام الهذياني للكتاب.

من هذه التمزقات التي أفقدت بعضهم حياتهم حاك هيرمان هيسه عمله. هكذا كتب الى والد شاب أنتحر بعد أن قرأ (ذئب السهوب) قائلا (لايكفي أن نشدد على تفاهة القيمة التي تربطنا بأشياء كالحرب والتقنية وحب المال والقومية... الى آخره. بل يجب أن نكون قادرين على أستبدال عبادة الأصنام المعاصرة بأيمان ما).وهذا الأيمان عند هيرمان هيسه هو الأدب دون شك .

عن الفيغارو الأدبية

متابعات

احمد مختار

بضيافة الأمم المتحدة و منظمة(RASIT)

المدى الثقافي

ضمن برنامج الثقافة و الفنون من أجل السلام الذي تنظمه الامم المتحدة بالتعاون مع منظمة راسيتRASIT الثقافية الدولية، يقيم عازف العود المنفرد و المؤلف الموسيقي أحمد مختار مجموعة من الامسيات الموسيقية في الولايات المتحدة الامريكية ، حيث سيقدم اولى الامسيات في ولاية فيلادليفيا ، تليها امسية في قاعة الكاتدرائية الكبيرة في ولاية بوسطن ، و ثالثة في نيويورك على مسرح المدينة الكبير، و سوف يقدم مختار مجموعة من مؤلفاته الموسيقية ناقلاً رسالة الشعب العراقي و ما مر ويمر به من معاناة ومأس، وسوف تقدم الامسيات على التوالي .

وقالت د. نسرين الهاشمي المدير التفيذي لمنظمةRASIT:

الشعب العراقي و العربي يحتاج الى خطاب ثقافي قوي مع الاخر لايصال صوته الحضاري و الثقافي، وتبني الامم المتحدة لبرنامج الثقافة و الفنون من اجل السلام مشروع مهم لابد من استغلاله لصالحنا لأيصال اصوات الشعوب المضطهدة الى الاخر، والموسيقار احمد مختار صوت عراقي صادق.

كما صرح ميل بيتر Mel Peterمدير الامسيات ،الى جريدة المتروبوليتان الناطقة بالانجليزية: بناء على حجز المقاعد، نتوقع ان جمهورا كبيرا سوف يحضرالامسيات ، كما تبنت تغطيتها الكثير من وسائل الاعلام المسموع و المرئي . كما و ذكر بيتر: "ان مختار عازف حساس ، موسيقاه مليئة بالمشاعر و الصدق وله خبرة عميقة بالعزف و الموسيقى العربية ومؤلفاته تعبر عن مواضيع انسانية ، خصوصاً تلك التي تعبر عن مأساة شعبه و ما يمر به بالامس و اليوم" .

وكما ذكر في موقع اخر من الحديث:

ما يميز مختار عندما يكون صوتا عراقياً، أنه لم يخدم النظام السابق مما يعطيه مصداقية للدفاع عن قضايا الشعب العراقي اليوم و ينفي عنه تهمة البكاء على منافعه الشخصية التي فقدها بزوال النظام الدكتاتوري، انه صوت العراق النظيف الذي يعارض بموسيقاه المعبرة الحروب و الجرائم اينما و جدت.

جامعة الدول العربية تنظم مؤتمراحول صورة الاسلام في المناهج الاوروبية للمرة الاولى

اعلنت جامعة الدول العربية اليوم الخميس انها تنظم مؤتمرا دوليا بعنوان "الحوار العربي الاوروبي :صورة الاسلام في كتب التاريخ المدرسية في اوروبا" في القاهرة في ١٢ كانون الاول المقبل يستغرق ثلاثة ايام.وينعقد المؤتمر في مقر الجامعة بالتعاون مع كل من المنظمة الدولية للتربية والتعليم والثقافة "اليونسكو" والاتحاد الاوروبي والمنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة "الاسيسكو" والمعهد السويدي بالاسكندرية.واكدت مديرة ادارة حوار الحضارات بالجامعة العربية سامية بيبرس ان المؤتمر يستهدف "العمل على تصحيح العديد من الاخطاء المتعلقة بصورة الاسلام الموجودة في كتب التاريخ المدرسية التي تدرس في الوقت الراهن في العديد من الدول الاوروبية".ويهدف كذلك السعي لتقديم العالمين العربي والاسلامي "بصورة موضوعية" الامر الذي "يسهم في الحيلولة دون اصدار احكام خاطئة مسبقة عنهما ومن ثم التخفيف من ظاهرة معاداة الاسلام في الغرب".ومن القضايا التي سيناقشها المؤتمر مواضيع "الجهاد" و "وضع المراة في الإسلام" و"الشريعة" و "صورة النبي محمد".وسيشارك في المؤتمر عدد كبير من اساتذة الجامعات العربية ومفتشي مادة التاريخ في وزارات التعليم العربية ونظرائهم من الدول الاوروبية اضافة الى الى ممثلي الاتحاد الأوروبي بالقاهرة وممثلي اللجان الوطنية للدول الأوروبية والعربية باليونسكو.

مجلات

عدد جديد من الثقافة الأجنبية

عن دار الشؤون الثقافية العامة، صدر العدد الثاني لسنة ٢٠٠٤ من مجلة "الثقافة الأجنبية" التي تعنى بشؤون الثقافة والفنون. وحمل العدد مجموعة من الدراسات الحديثة التي تعنى بالمناهج الأدبية، ونقد الشعر، واللغة، فضلاً عن نصوص شعرية ومسرحية. وضم العدد أيضاً محوراً انطوى على تناول الشعر ونقده، وكذلك الروح الجديدة والشعراء، وقضية التجاوز في الشعر. وفي زاوية كتاب العدد، ترجم جودت جالي، كتاباً يحمل عنوان "التلفزيون وشراكة الفنون" لمؤلفه فرانسواز بارفيه، تناول فيه أربعة عقود من تاريخ الأعمال (الفيديوغرافية)، بتحليل فكري وجمالي، خلال الفترات القديمة واللاحقة.

أما حوار العدد فقد كان مع الشاعر الكسندر كوشنر، يبدو أنه سقط من العدد أثناء التصحيف، إذ بدأ القطع في الصفحة (١٦١) وحتى الصفحة (١٨٠) مما أثر على تسلسل المواد المنشورة في المجلة ومنها الحوار المذكور. وترجمت في العدد ثلاث قصص الأولى بعنوان (سيارة أجرة من بلغراد) بقلم موماد يمتش وترجمة حسين حسن، وقصتان آخريان لجيكوف (الرهان) و (المرأة الطيبة) قام بترجمتهما مجيد حميد جاسم وعبد الحسين رزيج. فضلاً عن المتابعات الثقافية المتنوعة في العالم.وتصدرت الغلاف الأول للمجلة لوحة للفنان انطونيو ريكالكاتي بعنوان (ارم في ذلك الاتجاه ١٩٩٦) أما لوحة الغلاف الأخير فكانت تحت عنوان (التراب الأفريقي ١٩٩٨) للفنان هنري كويكو.

محاضرات

الصوفي وتجاوز الانتماءات العرقية أو العقدية

أن طرح موضوع التصوف هو ضمنيا استجلاء إنسية الإسلام واستخلاصها بالنسبة للمثقف وهو يشق طريقه لقراءة تراثنا الروحي.بهذه الكلمات دعا حسن اوريد مدير مركز طارق بن زياد ، في كلمة له استهل بها ليلتي (٢٤ و٢٥ من رمضان للتفكير في موضوع "ماهية الصوفية" نظمهما مركز طارق بن زياد ومؤسسة كونراد أديناور،وقال أن على المثقف أيضا في معركته ضد الخرافة أن يعتمد العقل أداة لقراءة التراث قراءة نقدية مستشهدا بقولة فولتير "الخرافة هي أم التعصب وأداة الغلو". واعتبر أن الإسلام موضوع اهتمام متباين لا بصفته دينا فقط بل لحام حضارة أو إيديولوجية، يرى عن صواب أو خطأ، أنها والحضارة التي يتزعمها الغرب على طرفي نقيض مشيرا إلى أن الإسلام فاعل في العلاقات الدولية، أو هكذا ينظر إليه، وهو مؤثر في الديناميات الداخلية للدول الإسلامية.

ويحدد الإسلام أيضا - طبقا لحسن أوريد - "هويات جماعات مقموعة، مثلما يلهب شعوبا مهضومة فيكون حافزها للنضال والمقاومة... وهو الإسلام، في غمرة هذه الصور النمطية التي يصوغها الآخر، من يدفع إلى أعمال همجية لا ترعى للكرامة الإنسانية ذمة.. إن الإسلام لدى الآخر أو الآخرين يبعث على الرهبة والخوف..إن الإسلام أو المسلمين متهمون إلى أن يثبت العكس ..". وأبرز أن "هذه الصور النمطية السائدة تظهر بين حين وحين نزوعا إلى التميز ورغبة في المعرفة.. ترى أنها من الحيف أن يحكم على الإسلام من خلال أعمال أقليات هي أبعد ما تكون عن التوجه العام للمسلمين، مثلما لا يسوغ أن نحكم على المسيحية وعلى المسيحيين من خلال محاكم التفتيش..". واعتبر مدير معهد طارق بن زياد أن هذه النظرة المميزة - من الغرب - ترى أن "الحضارة الإسلامية، شأنها شأن كل الحضارات، أفرزت وجها إنسانيا متألقا، وأفرزت كذلك جانبا كالحا متعصبا".

وأوضح الباحث أن هذه النظرة تدعو إلى التمييز بين "وجهين للإسلام" - وهو عنوان كتاب صدر قبل سنة ونيف لستيفان شفارتز- ترى أنه عبر تاريخ الحضارة الإسلامية تعايش اتجاه ذو نزوع إنساني يعتبر التصوف جانب منه، واتجاه متعصب متشدد هو الذي ألهب الحركات المغالية من الخوارج إلى القرامطة إلى الإسماعيلية . وخلص حسن أوريد إلى أن هناك فكرة مسبقة إيجابية حيال التصوف، وهناك اهتمام لتجلياته الإبداعية: نصوص أقطابه، وموسيقى أصحابه، وأذكار مريديه ورقصات دراويشه مشيرا إلى أن هذه النظرة السمحة قد تقترن بقراءات اختزالية تبسيطية. ودعا السيد إلى عدم الركون "إلى الآخر لصوغ ذاتنا وأن نعتبر تصوره علينا محددا لهويتنا..إن ذاتنا هي ما نصوغه نحن، من خلال تفاعلنا مع محيطنا دونما تنكر لجذورنا". وقال "إنها لعملية شاقة، طويلة، إذ تحفها عقبات عدة، من واقع لا يزال الجهل والفقر والظلم جاثما عليه ولا تزال الخرافة مهيمنة عليه، من نظرة مختزلة للآخر تصاغ من خلال حروب وصور وتصورات تدعمها آلة دعائية رهيبة، من هروب مثقفين من أبناء جلدتنا وتنكرهم لهوياتنا ومحدداتها وقيمها، فتراهم يدعون إلى أن هناك مرضا لصيقا بالإسلام إلى دعوة غريرة لإيجاد حل سحري بالدعوة إلى الملائكية".

وشدد أوريد على الحاجة إلى أن "نقف عند هذه التجربة الرائعة، تجربة السالكين والذاكرين والمريدين، الذين صاغوا في الماضي تراثا عالميا وتجربة إنسانية يعتد بها.. كانوا في عمق المعارك التي اعتورت مجتمعاتهم لم يتنكبوا عنها أو يتنصلون..". وأشار المحاضر في هذا الصدد إلى مقاومة الأمير عبد القادر وذوده عن أرضه وحوضه وحمايته لمسيحيين بدمشق من تهديد الدهماء بالقتل، ونهج المصلح الفذ والمتصوف محمد عبده، التي تهيؤ الذكرى المائة لوفاته، لطريق السالكين، وكذا وقوف المختار السوسي وهو الدرقاوي في لب المعارك التي عرفها المغرب في فترة الاستعمار.. وختم حسن أوريد بقوله "وقس على ذلك سابقة الحسن اليوسي، وقس على ذلك أعدادا لا تعد ممن يسمون بأهل الله" في تراثنا الشفوي، وقس على ذلك أعمالهم التي لا تحصى في أعمال البر والإحسان .. أو ليس الإحسان هو مدار التصوف.. أو ليس هو أسمى مراتب الإسلام..". ويذكر بأنه شارك في الليلتين، اللتين احتضنتهما دار المريني، عدد من الأساتذة والمفكرين والباحثين في مجال التصوف من ضمنهم نزهة برادة وزكية زوانات وفوزي الصقلي وجعفر الكنسوسي وعادل حجي ومحمد الرحماني بنشارف.